جاء في «الصحيحين» عن جابر ﷺ قال: غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة نجد، فلما أدركته القائلة وهو في واد كثير العضاه؛ فنزل تحت شجرة واستظل بها، وعلق سيفه، فتفرق الناس في الشجر يستظلون، وبينا نحن كذلك؛ إذ دعانا رسول الله ﷺ؛ فجئنا، فإذا أعرابي قاعد بين يديه، فقال: «إِنَّ هَذَا أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ؛ فَاخْتَرَطَ سَيْفِي، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِي مُخْتَرِطٌ صَلْتًا، قَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قُلْتُ: اللهُ، فَشَامَهُ ثُمَّ قَعَدَ، فَهُوَ هَذَا»، قال: ولم يعاقبه رسول الله ﷺ.

قال ﷻ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾[الزمر:٣٦].

فربنا ﷻ كافٍ عباده؛ لأنه رازقهم وحافظهم ومصلح شؤونهم؛ فقد كفاهم الله ﷻ، وهذه كفاية عامة لجميع الخلق.

وأما كفايته الخاصة؛ فهي: كفايته للمتوكلين عليه، والمنيبين إليه.

وهي كفاية واسعة، فالله ﷻ قد قال: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾

﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾﴾

[الزمر:٣٦]، وقال ﷻ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ ۚ﴾[الطلاق: ٣]، أي: كافيه كل أموره الدينية والدنيوية.

ومن كفايته ﷻ لرسوله وللمؤمنين: أن ينزل عليهم نصره، ويمدهم بملائكته: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[الفتح:٤].

ويقول ﷻ: ﴿بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾[آل عمران:١٢٥].

❐ إنه الكافي:

والعبد لا غنًى له عن ربه طرفة عين في جميع شؤون حياته؛ فهو محتاج إلى حفظ الله وكفايته وتسديده؛ فهذا النبي ﷺ يعلمنا حديثًا هو من أعظم أحاديث كفاية الله ﷻ للعبد: صح عنه ﷺ أنه قال: «إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ: بِسْمِ اللهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ، لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ، يُقَالُ حِينَئِذٍ: هُدِيتَ، وَكُفِيتَ، وَوُقِيتَ.

فَتَتَنَحَّى لَهُ الشَيَاطِينُ، فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ؟»[حديث صحيح. رواه أبو داود].

والعبد المؤمن يكثر التضرع والتوسل بأسمائه الحسنى في طلب الحفظ والثبات، فإنه لا كافي إلا هو، ولا حافظ سواه، جاء في «صحيح

مسلم»: أن رسول الله ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال: «الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وَكَفَانَا وَآوَانَا؛ فَكَمْ مِمَّنْ لاَ كَافِيَ لَهُ وَلاَ مُؤْوِيَ!».

❐ لا تبرح عن بابه!

فالعبد المؤمن إذا أحسن الظن بالله ﷻ، وصدق في توكله، وعظم رجاؤه؛ فإن الله لا يخيب ظنه؛ لأن الله ﷻ قال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣].

وهي من ربط الأسباب بمسبباتها، وصح عنه ﷺ أنه قال: «يَقُولُ اللَّهُ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي؛ إِنْ ظَنَّ بِي خَيْرًا فَلَهُ، وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَلَهُ»[حديث صحيح. رواه أحمد في «المسند»].

تولى الله أمر يوسف ﷺ، فأحوج القافلة في الصحراء للماء ليخرجه من البئر، ثم أحوج عزيز مصر للأولاد ليتبناه، ثم أحوج الملك لتفسير الرؤيا ليخرجه من السجن، ثم أحوج مصر كلها للطعام ليصبح عزيز مصر..

إذا تولى الله أمرك هيأ لك كل أسباب السعادة وأنت لاتشعر، فقط توكل على الله؛ فهو حسبك، وقل بصدق: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[غافر: ٤٤].

❐ امتحان..

يقول ابن القيم ﷺ: "فلما ذكر كفايته للمتوكل عليه؛ فربما أوهم

ذلك: تعجيل الكفاية وقت التوكل؛ فعقبه بقوله: ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾[الطلاق:٣]، أي: وقتًا لا يتعداه، فهو يسوقه إلى وقته الذي قدره له.

فلا يستعجل المتوكل ويقول: قد توكلت، ودعوت فلم أر شيئًا، ولم تحصل لي الكفاية؟! فالله بالغ أمره في وقته الذي قدره له".

ولذا؛ يمتحن الله ﷻ بعض عباده في صدق توكلهم؛ فيؤخر الإجابة، فإذا طال المقام ببعضهم ترك التوكل على الله، وذهب وانكسر وذل للمخلوق؛ ولو على حساب دينه ورضا ربه ﷻ.

صح في الحديث: أن النبي ﷺ قال: «مَنِ التَمَسَ رِضَاءَ اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ؛ كَفَاهُ اللهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ، وَمَنِ التَمَسَ رِضَاءَ النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ؛ وَكَلَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ»[حديث صحيح. رواه الترمذي].

❐ الجواب الكافي..

ولا يحصل المقصود للعبد إلا بجعل الآخرة هي همه، صح عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ جَعَلَ الهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا: هَمَّ آخِرَتِهِ؛ كَفَاهُ اللهُ هَمَّ دُنْيَاهُ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الهُمُومُ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا لَمْ يُبَالِ اللهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَتِهَا هَلَكَ!»[حديث صحيح. رواه ابن ماجه].

يقول ابن القيم ﷺ: "من اشتغل بالله عن نفسه؛ كفاه الله مؤونة نفسه، ومن اشتغل بالله عن الناس؛ كفاه الله مؤونة الناس، ومن اشتغل

بنفسه عن الله؛ وكله الله إلى نفسه، ومن اشتغل بالناس عن الله؛ وكله الله إليهم".

يَكْفِيكَ مَنْ وَسِعَ الخَلائِقَ رَحْمَةً ... وَكِفَايَةً ذُو الفَضْلِ وَالإِحْسَانِ

يَكْفِيكَ رَبٌّ لَمْ تَزَلْ أَلْطَافُهُ ... تَأْتِي إِلَيْكَ بِرَحْمَةٍ وَحَنَانِ

يَكْفِيكَ رَبٌّ لَمْ تَزَلْ فِي سِتْرِهِ ... وَيَرَاكَ حِينَ تَجِيءُ بِالعِصْيَانِ

يَكْفِيكَ رَبٌّ لَمْ تَزَلْ فِي حِفْظِهِ ... وَوِقَايَةً مِنْهُ مَدَى الأَزْمَانِ

يَكْفِيكَ رَبٌّ لَمْ تَزَلْ فِي فَضْلِهِ ... مُتَقَلِّبًا فِي السِّرِّ وَالإِعْلاَنِ

اللهم يا كافٍ! اكفنا بحلالك عن حرامك، وبفضلك عمن سواك.